نمــاء NAMAA
للبحــوث والدراسات
FOR RESEARCH AND STUDIES

التَّسْمِيَةُ وَالتَّعْمِيَةُ

فَهْمُ سُلْطَانِ الْكَلِمَةِ



ترجمات (66)

فيكتور سميث

ترجمة: د. محمود حامد الشريف

التسمية والتعمية

فيكتور سميث



ترجمات (66)

لماذا هذا الكتـــاب؟

لأن هذا الكتاب يقدم نموذجا نظريا موحّدا ومبتكرا لفهم أفضل للعمليات التي تدعم التسمية والتعمية وسلطان الكلمة على عقول البشر.

يربط الكتاب بين الأطر النظرية والرؤى التجريبية المتناثرة خلال مجالات بحثية ممتدة، بعضها لم يُنظر فيه من قبل، ويستخدم هذا الأساس كمنطلق لطرح نموذج من أربع مستويات تحليل منفصلة ولكن مترابطة. ومن خلال حشد الرؤى من علم اللغة الإدراكي وعلم اللغة النفسي، إلى جانب وجهات نظر متعددة الوسائط، يبني سميث جسورا متشابكة بين تخصصات جديدة ويؤلف بين أعمال من مجالات شقيقة مثل التسويق والاتصالات الصحية والحملات السياسية. وكلها تؤدي إلى مسارات لبحوث مستقبلية ذات أثر على أخلاقيات الاتصال والإنصاف.

سيكون هذا الكتاب ذا أهمية خاصة للطلاب والباحثين في مجال تعدد الوسائط والاتصال والسيمياء وعلم النفس الإدراكي واللغويات، بالإضافة إلى مجالات ذات صلة مثل التسويق والحملات السياسية والانتخابية والاتصال الصحي.

فيكتور سميث

فيكتور سميث حاصل على دكتوراه في الاتصال التجاري الدولي ويعمل أستاذا مشاركا في قسم الإدارة والمجتمع والاتصال بكلية كوبنهاغن للأعمال. ينصب اهتمامه البحثي حول سلطان الكلمة وأثرها وكذلك أثر الأدوات السيميائية، على العالم والطريقة التي نراه بها.

د. محمود حامد الشريف

صحفي وأكاديمي مصري، بدأ حياته المهنية محررا في صحيفة الأهرام، حرر عشرات الكتب العربية والمترجمة. نشر بحوثا محكّمة حول أثر الترجمة على اللغة العربية المعاصرة. حاصل على دكتوراه في دراسات الترجمة من جامعة القاهرة، حاضر في جامعة القاهرة والجامعة الأمريكية بالقاهرة. يعمل حاليا أستاذ دراسات الترجمة المساعد في جامعة طيبة بالمدينة المنورة.





nama-center.com - info@nama-center.com

التَّسْمِيَةُ وَالتَّعْمِيَةُ

فَهْمُ سُلْطَانِ الْكَلِمَةِ



ترجمات (66)

التَّسْمِيَةُ وَالتَّعْمِيَةُ

فَهْمُ سُلْطَانِ الْكَلِمَةِ

فيكتور سميث

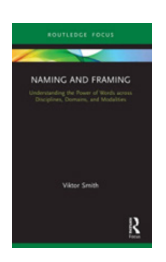
ترجمة: د. محمود حامد الشريف

نماء NAMAA
للبحوث والدراسات
FOR RESEARCH AND STUDIES

التسمية والتعمية
سلطان الكلمة
رؤى مستنبطة من تخصصات
ومجالات ووسائط مختلفة
فيكتور سميث
ترجمة: د. محمود حامد الشريف

هذا الكتاب هو الترجمة العربية الحصرية والقانونية لكتاب:

Naming and Framing
Understanding the Power of Words across
Disciplines, Domains, and Modalities
Author: Viktor Smith



الفهرسة أثناء النشر – إعداد نماء للبحوث والدراسات

سميث/ فيكتور

التسمية والتعمية، فيكتور سميث (مؤلف)، د. محمود حامد الشريف (مترجم).

168 ص، (ترجمات ؛ 66)

17×24سم

1. علم اللغة التطبيقي. أ. سميث، فيكتور ب. العنوان. ج. السلسلة. 418

الطبعة الأولى، القاهرة / بيروت، 2024م



بيروت - لبنـان
info@nama-center.com

القاهرة – مصر
هاتف - واتس: 00201115533255

الرباط – المغرب
هاتف – فاكس: 00212808564831
موبايل: 00212688953384

لطلبات الشراء البريدية: متجر نماء

www.nama-store.com
nama-store@nama-center.com

واتس: 3255 553 111 20+
هاتف: 1456 378 100 20+

المحتويات

مقدمة الترجمة

اعتدت أن أصحب ولدي عبد العزيز في السيارة كل صباح إلى مقر حضانته الكائنة بشارع سُمِّي باسم الصحابي الجليل أسيد بن كعب. ولأن الشارع يحفل بجهات خدمية، فقد أنشأت فيه الجهات المعنية الكثير من المقبات التي تُلزم قائد المركبة بالتأني عند كل منها. وكانت علامتي التي أهتدي بها للشارع دون غيره لافتة على ناصيته كُتِب عليها اسم الصحابي الجليل، وكنت أقرؤها بصوت عالٍ، لعل عبد العزيز يسألني مَن هذا فأحكي له طرفًا من تاريخ أمتنا فأربطه بثقافته العربية الإسلامية.

لكن عبد العزيز الذي لم يكن قد جاوز عامه السادس بادرني بسؤال لم يخطر لي على بال، سؤال تشويقي ويختبر به قدرتي على التحليل والاستنباط وقال: أتدري يا أبي لمَ أطلقوا على هذا الشارع اسم (سيِّد أبو كعب)؟ ضحكت حتى بدت نواجذي، وقلت: «سيّد أبو كعب»، لا. لا أدري.

فأوضح أن هذا الشارع به الكثير من المطبات -يقصد المقبات- وهذه المقبات الناتئة البارزة تشبه الحذاء ذا الكعب الذي يضطر من ينتعله إلى أن يبطئ في مشيه حتى لا ينكب على وجهه، وكذلك أنت يا أبي تبطئ في قيادتك بسبب هذه المقبات التي تشبه الكعوب.

وهذا قياس على طرافته يدهش من يستمع إليه ويثبت بما لا يدع مجالا لشك أن اللسان العربي لسان منطقي على الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولم يغيره النقل –أقصد بالنقل هنا الترجمة لا النقل الذي هو صنو العقل- ولم يحد به عن نهجه المولدون والمحدثون، ولم ينحرف عن مواضعه. جاء في كتب اللغة ما يدعم حجة ذلك الصغير فإنما سميت الكعبة كعبة لنتوئها وبروزها عن الأرض، والكعب كل ما نتأ عن الأرض.

ففي اللسان «الكعب: العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم»[1]. وفي مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ) أن «الكاف والعين والباء أصل صحيح يدل على نتو وارتفاع في الشي، [...] وكعبت المرأة كَعابَة، وهي كاعب، إذا نتأ ثديها». وفي المعجم الاشتقاقي «المعنى المحوري تكتل الشيء وتجمده ناتئا عما حوله»[2]. وفي القرآن الكريم ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ كواعب جمع كاعب. الكعب إذن يشير إلى كل ما ارتفع عن محيطه. وقد تراني استطردت أكثر مما ينبغي في تلك القصة الطريفة وزدت في الاستشهاد، غير أن هذا يصب في صلب الكتاب. فالكتاب يناقش العلاقة بين الدال والمدلول ولمَ يقبل الناس اسما دون غيره. وبينما يرى علماء العربية أن الأسماء تعلل، إذ ينقل ابن الأنباري عن ابن الأعرابي «الأسماء كلها لعلة، خصَّت العرب ما خصت، منها من العلل ما نعلمه، ومنها ما نجهله»[3]، لكن الكتاب الذي بين أيدينا يرى أن التسميات أحيانا تكون غير منطقية ولا يمكن تعليلها بحال.

وإنني إذ أسوق هذه القصة ليس من باب التشويق وجذب القارئ فحسب، بل أسوقها استشهادا لأمرين: أولهما أنها ربما تكشف سببا من أسباب التصحيف والتحريف فصيغة التصغير «أسيد» ليست جزءًا من البنية المعرفية لهذا الصغير لذلك لم تجد لها فئة تصنيفية تضع الصيغة الصرفية فيها، وحتى يستقبل العقل هذه الصيغة وذلك الشكل بحث له عن أقرب مكافئ؛ فاستبدل «سيّد» بـ«أسيد» و«ابن كعب» صارت «أبو كعب» ف«أبو» أكثر تكرارًا على سمعه من ابن، إذ الكنى أكثر انتشارًا في اللغة المحكية كقولنا أبو محمد وأبو أحمد. والإنسان يكبر وتكبر معه آفاته العقلية.

أما الأمر الآخر فاعلم أن البحث عن الدليل والعلاقة والتعليل حاجة بشرية ملحة. السؤال: لمَ؟ أو فيمَ؟ وكيف صار إلى ما صار إليه؟ ومحاولة الوصول إلى تكييف وتصنيف للمعرفة تستطيع من خلاله أن تضم هذه المعارف المكتسبة إلى شكلها ولفقها فيسهل على العقل استدعاؤها من دهاليز الذاكرة. ولا يكاد العقل يقبل بالغيبيات

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك ع ب).

(2) جبل، محمد حسن. (2010) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. مكتبة الآداب، القاهرة.

(3) ابن الأنباري، (2003). *الأضداد*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

والمجردات بل يسعى خلف المحسوسات الظاهرة، وهكذا البشر جبلتهم أن يعلموا ظاهرا من الحياة الدنيا، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا.

والكتاب الذي بين يديك يعزف على هذا الوتر. كيف تُـسَـك الأسماء ثم كيف تمسك هذه الأسماء بزمام العقل وتقوده حيثما شاءت. وهو كتاب صغير الحجم لا يكاد متنه يبلغ مائة صفحة، وهو بعدُ كتاب واسع الاستشهاد ينقب في موضوع أقرب إلى أحدنا من شراك نعله. الكلمة وسلطانها والتسمية وأثرها. وإنما الخلق ثمرة كلمة، قالها الخالق للكون «كن» فكان. وخـلـقُ آدم كلمة ولما أسجد الله له ملائكته كان ثمرة إنبائهم بأسمائهم. والكتاب يحاول أن يسبر غور التسمية تشريحًا فيطرحها على مائدة البحث عملية من أربع مراحل يؤثر بعضها في بعض. مميزًا بين الأسماء التوقيفية [arbitrary] وتلك الوضعية [non arbitrary]. وكيف تضمحل ظلال المعنى التي تتوارى خلف أستار تسدل سياقًا بعينه وتلك الظلال التي تلقي بضوء شفاف كشمس الضحى.

والحق في التسمية حجة امتلاك وصك ملكية. فأنت وحدك لك الحق في أن تعنون كتابك وأن تسمي ولدك الذي من صلبك وبعدها تهبه وتعطيه، يرثك أو ترثه. الحق في التسمية انتصار لثقافتك ورؤيتك للعالم. فهذه أمريكا ومن ورائها أوروبا عن عمد لا يطلقون على ربعنا «العالم العربي» بل يسمونه الشرق الأوسط ونساق لتسميتهم جهلا لا طوعا، بينما الصين تطلق على عالمنا «الغرب الأوسط»، لا الشرق الأوسط. وفي كلا التسميتين تحيزات ضمنية تقوم على علل ثقافية واستعمارية وصراع على مناطق النفوذ.

ولا شك في أن تلك التسمية تخلق واقعًا متوهَّمًا أو معيشًا في عقل المتلقي بشأن المنطقة جغرافيا من منظور تاريخي ومن منظور ديموجرافي أيضًا. فسكان الشرق الأوسط ليسوا بالضرورة عربًا فهناك عرقيات كردية وأمازيغية فلا ضير إذن إن أضافوا عرقية يعقوبية (الاحتلال الصهيوني لفلسطين). ويطل سؤال برأسه: هل العرب عرق أم لسان وثقافة؟ ثم إن العرب اليوم يطلقون على البحر الذي بينهم وبين إيران اسم الخليج العربي وتطلق عليه إيران الخليج الفارسي.

وخصوصية التسمية قضية محورية في ثقافتنا التي هي ثقافة الكتاب والنص

والعنعنة، فالنبي الكريم ﷺ من قبل يحض أصحابه على تغيير اسم يثرب إلى المدينة كما جاء في حديث مسلم «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرى يقولونَ يثرب وَهِي المَدِينةُ»[1]، بل التسمية هي أصل في تمييز الهوية الثقافية ففي الحديث الشريف حض على تسمية الصلاة التي تأتي في آخر اليوم بالعشاء وليس العتمة، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، فإنما هي العشاء وإنما يقولون العتمة لإعتامهم بالإبل»[2]. فترى العالم من خلال منظار تضبط عدسته وفق هويتك لا هواك فيرى الناسُ العالمَ وفقا لثقافتك.

وفي البحث اللغوي رؤيتان قد تبدوان في تعارض ظاهر، مرّ بهما الكتاب مرورا سريعًا تدوران حول أثر التسمية وأثر اللغة في استقبال المفاهيم، والمفاهيم المشتركة بين اللغات، فهناك فرضية معروفة باسم فرضية سابير هورف (Sapir-Whorf hypothesis) ويسمونها أيضا النسبية اللغوية، وترى هذه الفرضية أن اللغة هي التي تفرض عليك رؤية محددة للعالم من حولك، وفي المقابل هناك فرضية تدور حول العموميات اللغوية التي تنظر في المشترك اللغوي والثقافي بين لغات البشر. وأرى أن الفرضيتين لا تنفي إحداهما الأخرى بل تتكاملان، فهناك نقاط التقاء كبيرة بين كل لغات البشر كما أن لكل لغة خصوصيتها في عرض المعرفة وطرائق استقبالها ومخططات استعراضها وما يحويه العالم من حولنا.

والعنوان في أصله الإنكليزي قائم على كلمتين [naming] عاطفا عليها [framing]، أما الكلمة الأولى فيجوز فيها وجه واحد تسمية لا (إسماء) وقد رأيت أحد المغاربة قد عنون كتابه واضعا فيه الصيغة (إسماء)[3] تغريبا وإغرابا في القول. وأما الثانية فهي ملغزة في مقابلها، فالناس درجوا على ترجمتها بكلمة (تأطير) والسواد الأعظم من القراء لا يعرفون تحديدًا ما الذي تعنيه كلمة تأطير سوى أن بعضهم يعرف أنها مشتقة من إطار وإن أمعنت في سؤالهم قالوا لك وضع إطارٍ حول شيء ما.

(1) صحيح مسلم، -15 كتاب الحج، -88 باب المدينة تنفي شرارها، 1005/2 برقم 1382.
(2) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالُ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ، 230/1 برقم 704.
(3) قريرة، توفيق. (2011). الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية.

وقد جاء في كتب اللغة أن الإطار لغة كل ما استدار على غيره وأحاط به، وهو الحد الفاصل بين الشارب وطرف الشفة[1]. والكلمة من مادة (أطر)، وتعني ثَنْي الشيء، ولفُّه حول بعضه. والمعني يكاد يكون متطابقا مع كلمة [frame] الإنكليزية حسبما هو مطروح في معاجم اللغة الإنكليزية، كما أن لها معنى في الإنكليزية في مجال علم اللغة يعني السياق الذي يُطرح فيه الكلام[2]. ودلالة استخدام هذه العملية التي يسمونها التأطير في سياق استخداماتها الإنكليزية والترجمات العربية المطروحة لها تشير إلى أنها عملية يحدث من خلالها إخفاء جانب من جوانب الحقيقة أو توجيه نظر المتلقي إلى جانبٍ دون آخر، وهذا فيه إخفاء لحقيقة الشيء وتعميته عن المتلقي.

والتعمية كما جاء في لسان العرب من «عَـمِـيَ عليه الأمـرُ: التبَس؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٍ﴾ (القصص: 66). أن تُـعَـمِّـيَ على الإنسان شيئا فـتُـلَـبِّـسَـه عليه تلبيسا. وفي حديث الهجرة: لأعمين على من ورائي، من التعمية والإخفاء والتلبيس، حتى لا يتبعكما أحد»[3]. كما جاء نقلًا عن الخليل الـتَّـعـمِـيةُ: أن تُـعـمِّي شيئا على إنسان حتى تلبسه عليه تلبيسا[4]. وجاء نقلًا عن الكندي: تعمية الحروف استعمال الشفرة والكتابة الباطنة[5].

وتحييد الرؤية وتحجيمها ضرب من التعمية ومع تقدم العلوم التشخيصية في مجال الطب، اكتشف الأطباء أن بعض الأورام التي قد تصيب المخ، تشكل ثقلًا وضغطًا على العصب البصري ما يتسبب في فقد كلي أو جزئي للبصر هذا الفقد الجزئي يكون في شكل تحجيم الرؤية فلا يبصر الإنسان بلحاظ عينه، لا يبصر عن يمين وشمال بل

(1) معجم الدوحة التاريخي:
https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A5%D8%B7%D8%A7%D8%B1

(2) frame. (n.d.) *American Heritage® Dictionary of the English Language, Fifth Edition*. (2011). Retrieved February 7 2024 from https://www.thefreedictionary.com/frame

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع م ي).

(4) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.

(5) مراياتي، محمد وآخرين (محقق) (1987م). علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، تقديم: شاكر الفحام، مجمع اللغة العربية، دمشق.

يضطر أن يستدير برقبته ليرى عن يمين أو يسار. وهذا ما يفعله تمامًا الطرح المتحيز لمصطلح ما في سياق ما، إذ يحجب عن القارئ جزءًا من المعنى أو ظلال المعنى حتى يفهم المصطلح على نحو معين أو يستقبل منه جانبًا من جوانبه دون آخر. وهذا ما يقدمه المعنى الاصطلاحي للتعمية التي يسمونها «تأطيرًا».

وهذا هو التعريف الذي ساقه روبرت إنتمان[1] في بحثه العمدة الذي أشار إليه الكتاب غير مرة، وهو البحث الأكثر اقتباسًا واستشهادًا في مجال الدراسات الإعلامية فقد عرف إنتمان ما يسمونه بـ«التأطير» بأنه «التأطير لا يخرج عن أمرين: الانتقاء والإبراز. أن تؤطر شيئا أن تنتقي جانبا دون غيره من الواقع المعيش ثم تبرز هذا الجانب المنتقى أكثر من غيره لتطرحه في نص تنشره بين الناس، بطريقة تروج تعريفًا بعينه لمشكلة تتعلق بذلك الواقع، أو تفسيرًا سببيًّا له، أو أحكامًا قيمية بشأنه، أو تزكية حلول له أو كل ما سبق»[2].

فخلال ثورات الربيع العربي عانى المشهد من حالة استقطاب سياسي وعمليات وصم، ووصم مضاد. ولعل أبرز التسميات التي شهدت تعميةً مصطلح «الدولة المدنية»، في عملية حادت بالمصطلح عما كان يرمي إليه ليشير إلى دلالة لم تكن من بين دلالات المصطلح[3]. والمصطلح يشير إلى سيادة القانون على الناس كافة سواء بسواء وليس استقصاء. بل وظهرت طرائق وآليات في التسمية لم تكن موجودة من قبل كاشتقاق اسم من الحروف الأولى؛ بغرض الوصم والتشهير مثل كلمة «جحش» إشارة لجيش الحشد الشعبي، أو «داعش» إشارة إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام وهي تسميات

(1) Entman, R. M. (1993). Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. *Journal of communication*, *43*(4), 51-58.

(2) النص الأصلي لإنتمان يقول:

Framing essentially involves selection and salience. To frame is to select some aspects of a perceived reality and make them more salient in a communicating text, in such a way as to promote a particular problem definition, causal interpretation, moral evaluation, and/or treatment recommendation for the item described. (p. 52).

(3) الشريف، محمود حامد. (2019) «Reinventing the Wheel: Translating Words with Cultural Connotations between Domestication and Foreignization»، فيلولوجي: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، عدد خاص، 9-28، مسترجع من:

http://search.mandumah.com/Record/1385733

اعترضت عليها الجماعات التي وُصِمت بها ؛ بل دارت سجالات ومناقشات داخل هيئات إعلامية معتبرة بشأن تسمية تنظيم الدولة فحسب أم تنظيم الدولة الإسلامية[1].

أقول بعد هذا الطرح إن ما حملني على ترجمة هذا الكتاب ليس جدة الموضوع، وليس طرحه الفريد؛ بل رغبة مني في إطلاع القارئ العربي على أحدث طائفة واسعة من الرؤى المستقاة من دراسات بينية فالباحث استعان بمراجع تقع في حدود 40 صفحة. فلا تكاد تجد فقرة تخلو من استشهاد وكل فكرة يستشهد لها ببحوث لا بحث واحد. وهذه مهارة يتمتع بها باحثو الأكاديميات الغربية ولهم عليها مران ودربة، وإنما بركة العلم عزوه لأهله. والمؤلف ينص صراحة وبوضوح في مقدمته على ذلك فيقول: «إنما يهدف هذا الكتاب إلى أن يستكمل الباحث آلته ويقدم للممارس عدته حال استقصاء عمليات التسمية والتعمية أو الانخراط فيها وذلك عبر طائفة متنوعة من مجالات الحياة اليومية المعاشة مع إيضاح بعضها بشكل انتقائي».

ولا يستكمل الباحث آلته، ولا يمتلك الممارس عدته إلا ببحوث شتى تتناول الموضوع من كل جوانبه وتربطه ربطًا بالمباحث المجاورة والشقيقة. والكاتب على كثرة استشهاداته لا يكاد ينقل الاستشهاد بنصه بل يقدم صيغته، ولي وقفة مع لغة الكتاب الإنكليزية، إذ لم تخل من كهنوت الكتابة الأكاديمية التي يقع فيها الكاتب الدخيل فمؤلف الكتاب من أهل اللسان الدانمركي وليس إنكليزيًّا، وما كان لمثلي أن يترجم كتابًا ولا يعلق على لغته وقد لبثت عمرا أحرر الكتب المترجمة إلى العربية أو المنشأة بها، فحين اطلعت على التمهيد والتصدير اللذين وردا في مطلع الكتاب استحسنت لغتهما واستقبلتهما بقبول حسن.

لغة واضحة سلسة تخلو من ركاكة ورطانة، ثم وجدت البون شاسعًا بين لغة التمهيد والتصدير من جانب، ولغة المتن على الجانب الآخر؛ فوجدت الكاتب في متن الكتاب يقارب ولا يسدد، ويدور حول المعنى ولا يكاد يصيبه. وحين نهضت لترجمته حاولت ما وسعتني الحيلة أن أجري الترجمة على سنن العرب في كلامها ومعهود خطابها

(1) انظر:

ElSherif, M. H. (2021) “Impact of Biased/Neutral Media Discourse on Conflict Mitigation: A Framework for Analysis”. in I. Elsherif (Ed.), Translating Cultures in Search of Human Universals (pp. 159-178). Cambridge Scholars.

وحاولت أن أكون مترجمًا أمينًا لا مؤلِّفًا ينطلق فيغرب عن مقصد الكاتب الإفرنجي تقرُّبًا وزلفى للمتلقي العربي. والله- تعالى- أسأل أن أكون قد وفقت في ذلك.

ولم أجد في متن الكتاب ما وجدته من لغة سلسة في مقدمة الكتاب، وربما مرد ذلك أن دار النشر تعهد بالمقدمة للمحرر الأكثر حنكة ودربة، وهذا عهدي بدور النشر المحترمة أنها لا تدع المقدمة أو التمهيد يخرجان إلى المطبعة بلا جواز مرور مختوم بخاتم أمهر محرريها ولقد رأيت في مركز الأهرام للترجمة والنشر الأستاذ مجدي إدوار ومعه الأستاذ محمد فكري يُولِيانِ المقدمة والغلاف وظهره عناية فائقة. أما المتن فالمحرر يعمل فيه إزميله ويُبْقِي على شخصية الكاتب قدر استطاعته. ويطابق بين ما جاء في صفحة المحتويات والمتن ويطمئن إلى أن الكتاب قد أنجز ما وعد به في المقدمة.

وفي النسخة الإنكليزية من الكتاب لا يبدو أثر لإزميل المحرر اللهم إلا التدقيق اللغوي. ويتجلى أن اللغة التي كتب بها ليست لغة إنكليزية أصيلة، أقصد أن الكاتب ليس من أهل اللسان الإنكليزي، فهو دانمركي اللسان. رغم أن الإنكليزية والدانمركية تنحدران من طائفة اللغات الجرمانية. وقد أجهدني ذلك في ترجمة الكتاب، فكانت لغته غريبة، فقد ذقتُ نكهة أجنبية في متن الكتاب.

وقد أشار هنري هتشنجز (Henry Hitchings)[1] إلى أن التهديد الذي يواجه سيادة اللسان الإنكليزي كلغة عالمية (lingua franca) لا يأتيها من خارجها سواء من الإسبانية أو الصينية، بل يأتيها من داخلها؛ إذ إن الكُتَّابَ الدخلاء الذين ليسوا من أهل اللسان الإنكليزي يتركون أثرًا من نكهة أجنبية أو كما قال بالإنكليزية «foreign flavor» على كتاباتهم الإنكليزية. فيفقد اللسان الإنكليزي أصالته ويعوج عنه نهجه، فلا تكاد تجد نصًّا إنكليزيًّا غير ذي عوج. والمتأمل في نصوص المنظمات الدولية لا سيما النصوص الفنية يجد بها عجمة غريبة وإن سألت محرِّرًا داخل المنظمة عن معنى جملة ما احترت في فهم دلالتها، اعتذر إليك وقال لك إن كاتب الوثيقة عالم رياضيات، مثلًا، أو فلك، من أهل اللسان الروسي أو الفنلندي أو غير ذلك.

التهديد الذي يواجه الإنكليزية إذن، بحسب ما يقدمه هنري هتشنجز، ليس تهديد الاستبدال والإزاحة الذي قد يأتيها من الإسبانية أو الماندرين، بل تهديد العُجمة

---

(1) Hitchings, H. (2011). *The language wars: A history of proper English.* Farrar, Straus and Giroux.

الذي يأتيها من بين يديها ومن خلفها، من الدُّخَلاء بعجمتهم النابعة من لسان قومهم. والحقيقة التاريخية التي تسجلها كتب التاريخ اللغوي أن الإنكليز حرفوا الكلم عن مواضعه بفعل قرارات ملكية وأدخلوا تحريفات ظنوها تحديثًا وتطويعًا للغة[1]. والإنكليزية تفتقر إلى المعيارية المنضبطة لتحديد دلالة التراكيب أو حتى الألفاظ المفردة وتجدهم لا يبحثون عن دلالتها في الشعر الإنكليزي «الجاهلي» أو في أي أدبيات مدونة أو مروية، بل إنهم يجرون مسوحًا لاستقصاء دلالتها لدى رجل الشارع.

والعربية أكرر أنها لغة منطقية ولها تراث تليد وآلة صرف لها آتون عظيم يصهر الوارد الدخيل بعد سحقه ويصبه في معين العربية. والعربية بعد مرت عليها قرون لم يقدم أبناؤها أي إنتاج ولا تزال تقف شامخة عصية على الاندثار أو الانكسار بفضل منظومة صرفية ومعجمية يصونها القرآن المجيد، وليس للمستهلك الكسول إلا جحر ضب خرب. فالعربية لا تتبدل، ولا تُستَبدل. الشعوب الكسولة هي التي تُستبدل، وتخرج خارج التاريخ والجغرافيا.

اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا،

د. محمود حامد الشريف
أستاذ دراسات الترجمة المساعد
جامعة طيبة
المدينـة المنورة
في شعبان 1445هـ

(1) أشار كثير من اللغويين الذين كتبوا في تاريخ اللغة الإنكليزية إلى ظاهرة الغزو المعجمي حين دخلت الكثير من الألفاظ الفرنسية إلى اللغة الإنكليزية (lexical invasion) كما أشاروا إلى تغيير البنية الصوتية في ظاهرة عرفت باسم (great vowel shift)، انظر:

Wolfe, P. M. (1972). *Linguistic change and the great vowel shift in English*. Univ of California Press.

Trudgill, P. (1984). *Language in the British isles*. Cambridge University Press.

Graddol, D., Leith, D., & Swann, J. (Eds.). (1996). *English: history, diversity, and change* (Vol. 1). Psychology Press.

Crystal, D. (2005). *The stories of English*. Abrams.